تعقيباً على مصادقة محكمة النقض المصرية على الحكم الذي صدر بحق نصر حامد أبي زيد، القاضي بتفريقه عن زوجته بدعوى الارتداد عن الإسلام، بعثتْ هيئة تحرير مجلة الآداب اللبنانية بالبيان التالي إلى «لجنة التضامن مع نصر حامد أبي زيد وابتهال يونس» في القاهرة.

إلى أبي زيد، وابتهال يونس وأفراد عائلتهما

يهم مجلة **الآداب** أن تعلن من جديد عن تضامنها التامّ مع المفكّر العربي الكبير نصر حامد أبي زيد، وهو يواجه مصادقةً ظالمةً على حكمٍ جائرٍ أصلاً. والظلم في قضية أبي زيد يتجلّى على غير صعيد:

١ - فهو ظلمٌ فكريّ يطولُ مفكّراً، فَهِمَ رسالةَ الفكر كَما يجب عليها أن تكون: إعمالاً لأدوات النقد والتحليل في أهم قضايا المجتمع والأمّة تأثيراً في تطوّرهما ورفاهيّتهما. والخلافُ مع فِكْرِ مفكّرٍ ما، ولاسيّما إذا كانَ من طينةٍ خلاّقة ومجبولةٍ بحبّ الشعب والعدالة، يجب ألاّ يكون إلاّ بالفكر وحده، مهما أخطأ أبو زيد أو غيرُه في اجتهاده.

٢ - وهو ظلمٌ دينيّ، يطول إنساناً لم يقرّ لحظةً واحدة بما رَمَاهُ بِهِ خصومُه: عَنَيْنا تهمة «الارتداد عن الإسلام». فالحكم والمصادقة معاً، من هذه الناحية، قرارٌ متعسّفٌ على خَيْبَةٍ مزعومة ألصقتْ بنَفْسِ أبي زَيْد.. قرارٌ يتنكّر لإقرار أبي زيد بإسلامه ونطقِهِ بالشهادتيْن.

٣ - وهو ظلمٌ وطنيّ واجتماعي وسياسيّ وحضاريّ يطولُ أكبر بلدٍ عربيّ من حيْثُ عددُ السكّان والتأثير، ويعطي صورةً متخلّفةً عن مصر - بل عن بلادٍ عروبةٍ - تحكمها لا أنظمةُ الرقابةِ والبوليس فحسب، بل محاكمُ تفتيشٍ /«ميليشياتٌ» ترتدي ثوب القضاء أو يحكمها نظامٌ معادٍ لقوى «العنف الإسلامي» في الظلام، ومؤيّدٌ لها أو متغافلٌ عنها في النّهار وفي أروقة «المحاكم»!

٤ - وهو ظلمٌ يطولُ عائلةً بأكملها، لا فرداً واحداً بعيْنه. إذْ يُراد بالحُكْم والمصادقة كليْهما أن يُؤْخَذَ أفرادُ عائلةِ أبي زيد كُلّهم بـ«جريرة» (وأيّة جريرة!) نصر حامد وحده. ولعلّ ذلك العسف الجديد أن يذكّرنا بما كانت فرقةُ «الأزارقة» ترتكبه بحقّ خصومها حين ترميهم بالشرْك: فقد حلّلت هذه الفرقةُ مبدأ «الاستعراض»، وبموجبه حلّلتْ قتلَ أولاد «المشركين» وزوجاتهم وكُلّ من مَتّ إليهم بصلة. وعلى الرّغم من أنّ العسف الجديد لم يتعرّض لسلامة عائلة أبي زيْد الجسدية (بعد)، فممّا لا شكّ فيه أنّه قد انتهك وحدتَها وتماسُكَها ونسيجَها الأخلاقي والدّاخِليّ حين حَكَمَ بتفريق الدكتورة ابتهال يونس وأولادها عن زوجها وأبيهم «المرتدّ»... ضارباً - في الوقت ذاته - عرضَ الحائط بمبدإٍ إسلاميّ مكين مؤدّاه أنّ كُلّ نفسٍ بما كسبتْ رهينة.

٥ - وهو ظلمٌ بحقّ القضاء المصريّ الذي يُرادُ لَهُ اليوم أن يكون حليفاً للديكتاتوريّات (الحاكمة و«المعارضة») وخصماً للثقافة والحريّة، لا مدافعاً عنيداً عنهما.

إنّ مجلة **الآداب** تَعِي أنّ «العَبَث بالمقدّسات الدينيّة» حُجّةٌ خاويةٌ يلجأ إليها ضُعَفاءُ الفِكْرِ والجدل من أجل كَبْحِ العقل وترسيخ الديكتاتوريّة. وهي ترى أنّ أكبر انتصارٍ للإسلام هو في مقارعة الحجّة بالحجّة، والمنطق بالمنطق. وأمّا احترامُ الاعتقاد الدينيّ فَواجبٌ، لا يوازيه - في نظرنا - إلاّ احترامُ الاختلاف مع هذا الاعتقاد أو مع تيّاراتِهِ السّائدة أو المُسَوَّدَة بقوّة الحكمة والبوليس و«الفقهاء».

إنّ الشكّ - حتى ببعض «المقدّسات» - هو صِنْوُ الحريّة، التي بها وحدها يكون المجتمعُ ديناميّاً وحيّاً وقادراً على مواجهة الأحلاف الاستعماريّة «الإسرائيلية». وأمّا قَتْلُ الخلاف بحجّة إكساب المجتمع «مناعةً داخليّة» فهو حجّةٌ لن تؤدّي إلاّ إلى قَتْل المجتمع... وإلى فرض هيمنةٍ خارجيّة أعظم على «المقدّسات» نفسها!

تحيّةٌ متجدّدةٌ إلى نصر حامد أبي زيد، وإلى ابتهال يونس. وإلى جميع أفراد عائلتهما أينما كانوا... وعهداً بأن لا نسمح لأعداء الفكر والثقافة باستفرادنا.

الآداب